# *مدخل إلى الآدب العالمية*

*أ.شيراني*

*السّداسي الرّابع م.1+2*

# الشّاعر التّركي "ناظم حكمت"

شاعر تركي ولد في 15 يناير 1902 بـ" سالونيك" وتوفّي في 3 يونيو 1963 بموسكو. كان والده "حكمت باشا" ثريّا متنفّذا في الدّولة العثمانية ممّا أتاح له تعليمًا منتظمًا. التحق بمدرسة نوال الحربية بمدينة اسطنبول لكنّه أجبر على تركها عام 1920 لعدم لياقته الصّحية، ثمّ انتقل لدراسة الاقتصاد والعلوم الاجتماعية في جامعة موسكو من 1921 إلى 1923. واعلّ هذه المحصلة هي التي مان لها عظيم الأثر الماركسي الشيوعي، فكان أبرز الكتّاب المعبّرين عنه.

على الرّغم من أنّه ينحدر من أسرة ثريّة إلا أنّه عارض الإقطاعية التركية، وشارك في حركة أتاتورك التّجديدية، ولكنّه عاد وعارض نظام أتاتورك بعدما رأى من أساليبه القمعية، فحُكم عليه بالسّجن خمسة عشر عاما. ثمّ حكم عليه في احدى عشر قضيّة مختلفة، ومكث في معتقلات إسطنبول وأنقرا. وفي عام 1951 استطاع الهروب إلى موسكو وعاش هناك إلى أن توفي.

## نفيه وقضاياه:

## تمت محاكمة ناظم حكمت عدة مرات بسبب أشعاره وكتاباته التي بدأها في عام 1925، فقد حكم عليه بالسجن ثماني وعشرين عاما في معتقلات إسطنبول، وأنقرا، وبورصة وتشانقر، كما أنه قد عرض فيلم يدعى (العملاق ذو العيون الزرقاء ) عام 2007 وهو الذي يروى تلك الأعوام التي قضاها ناظم حكمت في معتقل بورصة ثم تم إخلاء سبيله عام 1950 مستخدما قانون العفو . لقد كان إستدعائه للخدمة في الجيش مره أخرى وهو يبلغ من العمر ثماني وأربعون عاما هو ما دفعه للهروب خارج البلاد بسبب ذلك الشعور المسيطر عليه من أنه سوف يقتل . أتخذ مجلس الوزراء قرارا في 17 يونيو عام 1951 بنفيه من البلاد ،وعاش ناظم حكمت مع زوجته ( فيرا تولياكوفا ) في موسكو بالاتحاد السوفيتي. في خلال السنوات التي قضاها خارج البلاد تجول ناظم حكمت في كثير من دول العالم مثل : بلغاريا، المجر و فرنسا و مصر إلى جانب أنه شارك في أعمال ضد الحرب والاستعمار فقام بعمل برامج تسجيليه في الراديو بعضا منها كانت تذاع في الراديو التركي والبعض الآخر كان يذاع في راديو "موضا بيشتا".

أشعاره :

في سن السادسة عشر تقريبا نشرت له أول قصيدة بعنوان "غابة الشرق" يقول فيها :

ترامى الى سمعي أنين

ينبعث من غابة السّرو

سألت نفسي: أيبكي

أحد في هذا المكان؟

أم أنها الرياح وحيدة

تردّد هاهنا ذكريات حبّ عنيف

ظننت أنّ الموتى يضحكون

حين تسدل فوق عيونهم

السّتار السّود

بداية النّضال:

 في بداية حياته عمل ناظم حكمت بالتّدريس لفترة من الوقت في مدينة "بولو" التركية، كان خلالها قريبا من الشعب بطريقة تجعله على تواصل مع كل ما يحدث لهم، و متابعا لكل ما حوله، بعيدا عن تداعيات الطبقة الأرستقراطية، فوجد ناظم حكمت أنه من الضروري استخدام شعره للتّعبير عن كلّ ما يحدث في الواقع، عن الألم و الظّلم، الّذي يلحق بكل هؤلاء النّاس و لا يجدوه مفرّا للهروب منه، لذلك أخذ على عاتقه مسؤولية التّعبير عن الظّلم المسكوت عنه .

 يقول في قصيدته "يا وطني" متحدّثا بلسان كلّ مواطن في بلده

 يا وطني يا وطني

 اهترأت قبعتي الّتي

 اشتريتها من دكاكينك

 تقطّع حذائي الّذي

 حمل تراب شوارعك

 آخر قميص اشتريته في

 تركيا

 صار مقطّع الأوصال منذ

 زمن

 يا وطني لم يبق لديّ

 منك سوى الشّيب في

 في شعري

أخذ ناظم حكمت على عاتقه دور المناضل الصّلب الّذي يريد الدّفاع عن المستضعفين في الأرض، يقول في قصيدة "اخوتي" :

 لا يغرّنّكم شعري

 الأشقر.. فأنا آسيوي

 ولا تلتفتوا الى زرقة

 عيناي .. فأنا افريقي

 الأشجار بظلالها على

 جذورها

 كما في بلادكم أيضا

 و نحن نموت قبل أن

 نصل لسنّ الخمسين

 كما في بلادكم أيضا

 و أشعارنا تنتقل من فم

 الى فم كي تغدو غنوة

 فالشّعر يتحوّل الى

 أعلام في بلادي

 وكذلك في بلادكم

في قصيدته "سيرة ذاتية" استطاع ناظم حكمت أن يشير الى أكثر فترات حياته ظلاما

و ظلما، وفعل ما لم يفعله غيره من أجل نهضة الشّعر التّركي

 يتحدّد اتجاهه الماركسي و يتوضح من خلال قصيدة يقول فيها، مخاطبا طبيبه الّذي كان يعالجه من ذبحة صدرية :

 اذا كان نصف قلبي هنا

 أيها الطّبيب

 فنصفه الآخر هناك في

 الصّين

 مع الجيش الزّاحف نحو

 النّهر الأصفر

 وكلّ صباح ، عند شروق

 الشّمس

 يعدمون قلبي في

 اليونان

 وفي كلّ ليلة أيها

 الطبيب

 عندما ينام السّجناء ،

 و يغادر الكلّ المستشفى

 يطير قلبي

 ليحطّ على منزل مهدّم

 في اسطنبول

 و بعد عشر سنوات

 ليس لديّ ما أقدّمه

 لشعبي الفقير

 لسوء هذه التّفاهة

 تفاحة واحدة حمراء

 هي قلبي.

انّ الأماكن تتداخل هنا متجاوزة دلالتها الحيزية الى الدّلالة العقائدية الفكرية، و ذلك من غير تعقيد و لا غموض ، بل بالبساطة الّذي اشتهر بها الشّاعر.

ومن أجمل أشعاره الّتي تداولتها الألسن في مختلف الّلغات القصيدة التي يقول فيها :

أجمل الأيّام.. تلك التي لم نعشها بعد

وأجمل البحار.. تلك التي لم نبحر فيها بعد

وأجمل الزّهور تلك الّتي لم نرها بعد

واجمل الكلمات تلك الّتي لم أقلها لك بعد

وأجمل القصائد تلك الّتي لم أكتبها بعد

انّه الأمل الّذي ظلّ ملازما الشّاعر، حيث تتمخّض عند لغة مفعمة بالنّغمة التي تتدفّق كأنها أغاني للحياة بعيدة كلّ البعد عن روح اليأس و للقنوط الّتي نجدها عادة عند القرّاء الرّومانتيكيين.

ومن خصائص هذا الشّعر كما ترى روح البساطة، فهو شعر لكلّ الفئات الاجتماعية ، شعر وحّد بين الرّوح الانساني من جهة، و سهولة المنطقة من جهة اخرى، غير انّ هذه السّهولة تخفي وراءها حرارة الّلحظة المتألّمة، وعهد الاحساس بالتّجربة الواقعية، و من هنا وصف النّقاد طريقة الشّاعر بأنّها مزيج من الواقعية الاشتراكيّة و الرّوح الرّومانسية الواضح في شعره، وهذه الرّوح هي الّتي جعلت شعره ينتشر الانتشار الكبير بين عامّة النّاس و القرّاء. فشعره قريب من النّاس مهما كانت طوائفهم و طبقاتهم.

 ومن النّاحية الفنّية و الأسلوبية كانت هذه الطّريقة ثوريّة الشّعر التّركي الحديث، فقد رسم الشّاعر طريقا جديدة و رؤية حديثة في التّعامل مع عناصر القصيدة موسيقيا و لغويا ممّا جعله متفرّدا في زمانه، مستحقّا لأن يكون الشّاعر الانساني العالمي. ولا نعتقد بأنّ الشّاعر سجن بسبب هذا الشّعر، بل السّبب راجع لمواقفه السياسية، الرّافضة لأشكال الظّلم و الاضطهاد، و لانقلابه على سياسة "أتاتورك" الدّكتاتوريّة الظّالمة.

 انّ هذه الخصائص التي ميزت شعر ناظم حكمت مع ما فيها من أبعاد اجتماعيّة و اديولوجيّة هي الّتي جعلت الشّاعر العالمي، كما لا يخفى هنا دوران هذه الأبعاد في فلك المركزيّة الثّقافية الأوربية، فدفاعه عن هذه القيم الانسانية كان في هذا الاتجاه، ولا أدلّ على ذلك انه حيث سجن هبّت طائفة من الكتاب الأوربيون والمفكرين للدّفاع عن حرّيته، و استطاعت الضّغط على الحكومة التّركية لاطلاق سراحه.